المضمون التاريخي في مسرح عبد الكريم الدناع

دراسة تحليلية لنماذج مختارة

أ. محمد سالم عبدالكريم الشنطة
قسم الاعلام/الجامعة المفتوحة
MOHAMED.SALIM.SH1981@GMAIL.COM

مستخلص البحث:

يعد الكاتب المسرحي (عبد الكريم الدناع) من بين كتاب المسرح الليبيين الذين وظفوا التاريخ في مسرحياتهم بكثرة وتفاعل معه ليثري النص المسرحي ويشحنه بطاقات فنية هائلة ودلالات عميقة، ونجد ان رجوعه الى التاريخ كان مبعثه هذا التدهور السياسي والتشظي الذي شهدته الساحة العربية في الكثير من النكسات والهزائم،

ويمثل استلهام التاريخ مادة خصبة تجذب كتاب المسرح، ويعتبر حلا عبقريا للكثير من المؤلفين للهروب من مسألة السلطة والرقيب، لذلك تبلورت مشكلة البحث في الأسئلة الاتية: كيف وظف عبد الكريم الدناع المضمون التاريخي في نصوصه المسرحية؟ ما مدى استفادته من التاريخ؟ وما هي القضية التي أراد طرحها في مسرحياته عينة البحث؟ ويعد هذا البحث من البحوث الوصفية حيث استخدم تحليل المضمون الذي يستهدف دراسة المادة التي تقدمها الوسيلة الإعلامية بهدف الكشف عما تريد ان تبلغه لجمهورها وتأثير القراءة او المشاهدة على الجمهور، وتوصل البحث لعدد من النتائج منها ان الدناع قام بمزج ما بين الاحداث الحقيقية والمتخيلة التي تتحرك بقوة وتفاعل، وهي تعبر عن قدرة فنية عالية في التوفيق بين الاحداث المسرحية على الرغم من تنوعها، وضاف اليها من إلهامه ما يساعد على رسم صورة حية لتلك الفترة الحرجة، متجنبا الحشو والاستطراد ومحافظا على منطق التاريخ وشخصياته واحداثه، واعطى مزيجا بين التاريخ والذات العربية المعاصرة، فهو يعرض الحقائق ويبث الوعي، ويجعل المتلقي يتخذ موقفا من القضية التي امامه، وقد خدم الواقع الذي يعيشه للتشابه الواضح في الظواهر الإنسانية عبر العصور، فما حدث قديما قد يحدث اليوم بصورة مختلفة، وهذا التقارب يستدعي اللجوء الى التاريخ لأسقاطه على المعاصرة.

Research Abstract:
Playwright Abdul Karim Al-Dana' is among the Libyan playwrights who have extensively employed history in their plays, engaging with it to enrich theatrical texts and infuse them with tremendous artistic potential and profound connotations. We find that his return to history was prompted by the political deterioration and fragmentation witnessed by the Arab world, marked by numerous setbacks and defeats.
Drawing inspiration from history represents fertile material that attracts playwrights and is considered a brilliant solution for many authors to escape the issue of authority and censorship. Therefore, the research problem crystallized into the following questions: How did Abdul Karim Al-Dana' employ historical content in his theatrical texts? To what extent did he benefit from history? And what was the issue he sought to raise in his plays, the research sample? This research is considered a descriptive research, as it used content analysis that aims to study the material presented by the media outlet with the aim of revealing what it wants to convey to its audience and the impact of reading or watching on the audience. The research reached a number of results, including that Al-Dana'a combined real and imaginary events that move strongly and interactively, and this expresses a high artistic ability in reconciling theatrical events despite their diversity. He added to them from his inspiration what helps draw a vivid picture of that critical period, avoiding padding and digression and preserving the logic of history, its characters and events. He provided a mixture between history and the contemporary Arab self, as he presents facts and spreads awareness, and makes the recipient take a position on the issue before him. He served the reality in which he lives due to the clear similarity in human phenomena across the ages. What happened in the past may happen today in a different way, and this convergence requires resorting to history to project it onto the contemporary.

المقدمة:

يزخر التاريخ بالحكايات والقصص والاحداث، والتي تشكل مخزونا حيويا للكتاب على اختلاف مدارسهم المسرحية، فقد استندوا على بعض قصص التاريخ كجزء أساسي في أعمالهم الإبداعية بغية الربط بين الواقع الذي يعيشون فيه وما يحاكيه من احداث التاريخ القديم، لأثبات أن ما نجده في الواقع المعاش يتطابق تماما مع ما حدث في الماضي، " فالتاريخ يقدم احداثا هي اذا صح التعبير معروفة من الخارج فقط، ما قام به الناس، ولكن ما فكر فيه الناس، الاحاسيس التي رافقت مناقشاتهم ومشاريعهم ونجاحاتهم وخيباتهم، المحادثات التي فرضوا بها او حاولوا ان يفرضوا بها عواطفهم واراداتهم على العواطف والارادات الأخرى، والتي باختصار كشفوا بها عن شخصيتهم الفردية، كل هذا يمر به التاريخ بصمت تقريبا". (محيك،23،1989).

فاستلهام التاريخ في المسرحية، يرتكز على الجوانب الإبداعية للكاتب ومدى قدرته على توظيف خياله دون الالتزام بجزئيات الحادثة التاريخية بالشكل الدقيق الذي من شأنه ان يفقد العمل مصداقيته الفنية، وليس عليه ان يصور الحقائق التاريخية كما هي، بل كما يراها ويعتقدها، لأن غاية الفن الإيحاء والتأثير لا السرد والتقدير، وتتميز المسرحية التاريخية بتنوع الأساليب الفنية المختلفة التي يوظفها الكاتب لخدمة مضمونه المعاصر المراد طرحه على المتلقي، وقد يختلف المضمون التاريخي من حيث الفكرة المطروحة والاسقاط المعاصر من مسرحية لأخرى باختلاف زمن ظهور المسرحية التاريخية، فالكاتب الدرامي يحاول فهم الماضي في ضوء الحاضر، ثم يبدأ في طرح مشكلات العصر عبر ايحاءات وتلميحات واسقاطات فكرية تحملها مشاهد الدراما التاريخية، لتتحول الى طلقات تنبه وتحذر الى ما يحدث في الحاضر.

ويعد الكاتب المسرحي (عبد الكريم الدناع) من بين كتاب المسرح الليبيين الذين وظفوا التاريخ في مسرحياتهم بكثرة وتفاعل معه ليثري النص المسرحي ويشحنه بطاقات فنية هائلة ودلالات عميقة، ونجد ان رجوعه الى التاريخ كان مبعثه هذا التدهور السياسي والتشظي الذي شهدته الساحة العربية في الكثير من النكسات والهزائم، لذا ارتا الباحث ان يقوم برصد وبحث كيفية استفادته من استدعاء المضمون التاريخي لاستنهاض الهمم وبعث الروح العربية وتجديد الثقة والقوة فيه.

مشكلة البحث:

يمثل استلهام التاريخ مادة خصبة تجذب كتاب المسرح، ويعتبر حلا عبقريا للكثير من المؤلفين للهروب من مسألة السلطة والرقيب، لذلك تبلورت مشكلة البحث في الأسئلة الاتية: كيف وظف عبد الكريم الدناع المضمون التاريخي في نصوصه المسرحية؟ ما مدى استفادته من التاريخ؟ وما هي القضية التي أراد طرحها في مسرحياته عينة البحث؟ وماهي ملامح البناء الفني وأسلوب كتابة النص في مسرحياته؟

أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث كونها تتناول كاتبا مسرحيا مهما (عبد الكريم الدناع) وتوضح مدى استفادته من التاريخ العربي والإسلامي، الامر الذي يكشف سعة اطلاعه وشغفه بالأصالة

والتاريخ، فلقد استطاع توظيف التاريخ عن وعي كامل ووفق تجربته الخاصة، محاولا إعادة بناء الشخصيات التاريخية او العهود التاريخية وابرازها بشكل مسرحي.

منهج البحث:

يعد هذا البحث من البحوث الوصفية، حيث يستهدف الباحث من بحثه "تحديد او تقدير سمات موقف ما او جماعة من الناس". (عليان،73،2011). واستخدم الباحث في بحثه تحليل المضمون الذي "يستهدف دراسة المادة التي تقدمها الوسيلة الإعلامية بهدف الكشف عما تريد ان تبلغه لجمهورها ودراسة تأثير القراءة او الاستماع او المشاهدة على هذا الجمهور".(الحيزان،49،1998)

عينة البحث:

يتمثل مجتمع الدراسة التحليلية في نماذج لنصوص مسرحية تناولت احداث التاريخ هما:

1_عبد الكريم الدناع: الاعمال الكاملة (مسرحية قاضي اشبيلية) الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته–ليبيا، 1986م.

2_عبد الكريم الدناع: مسرحية الخيول الجامحة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، مصراته–ليبيا، 1999م.

(المضمون التاريخي في مسرحية قاضي اشبيلية)

تعتبر عملية اختيار الاحداث التاريخية وانتقائها براعة من الابداع الذي يجب ان يتقنها الكاتب المسرحي، فهي أسلوب يتطلب الوعي بالإحداث التي تصلح او لا تصلح للاستفهام والتوظيف المسرحي، ووفقا لهذا التصور يضع الكاتب المسرحي تخيله وتفسيره تتيح إعادة بناء الاحداث التاريخية بناءا فنيا مبررا يتم من خلاله تقديم حقبه زمنية معينة، وفي هذه المسرحية قام المؤلف باقتباس حدث تاريخي للنزاعات والتصارع ما بين ملوك الطوائف في الاندلس، وتحديدا حقبة (هشام المؤيد بالله) الذي كانت له قصة في مملكة قرطبة، وأخرى عندما اعيد للحياة وتم تنصيبه من جديد اميرا على اشبيليه، برعاية (القاضي أبا القاسم ابن عباد)، فمزج ما بين هاذين الحدثين، الاول قام باختصاره والثاني سلط الضوء عليه وافرد له مساحة من احداث المسرحية ليضع فيه عدة تصورات وقراءات قام بإسقاطها على واقعنا العربي المعاصر.

شخصية هشام المؤيد بالله في التاريخ:

فترته تاريخيا هي بداية انحسار سطوة دولة بني امية في الاندلس، عندما مرض والده واخذ بيعة ولاية العهد في حياته، وقتل عمه الذي كان ينوي الاستيلاء على الحكم بدعم من الصقالبة، ولكن (محمد بن ابي عامر) قائد الشرطة قتله، ليكون هشام هو الخليفة في سن الثانية عشر، وامه (صبح البشكنجية) وصية على حكمه، ليتم بعدها الحجر على الخليفة (هشام) من قبل (ابي عامر) ومنعه من الاختلاط بالناس او الخروج من القصر الا بإذنه، ليضل مسلوب الإرادة طوال حياة (ابي عامر) ومن بعده ابنه (عبدالملك) الذي خلف اباه في الحجابة، ومن بعدهما ابنه الثاني(عبدالرحمن شنجول) الذي وصل لأبعد من ذلك عندما اعلنه (هشام المؤيد) وليا لعهده، خاصة وان هشام لم يكن له ولد، آثار ذلك حفيظة الكثيرين من امراء بني امية الذي رأوا في ذلك إنهاء لولاية اسرتهم الشرعية على حكم الاندلس، قد دبروا مكيدة بقيادة امير منهم يدعى(محمد بن هشام الناصر) ليستغل خروج (عبدالرحمن شنجول) في حملة عسكرية على الممالك المسيحية في الشمال، وهاجم في جمع من أصحابه قصر قرطبة الذي يتواجد فيه الخليفة (هشام المؤيد) ليعلن وفاة الخليفة السابق، واحضر عدد من الفقهاء والاعيان والوزراء ليشهدوا بوفاته، ليعقب ذلك فترة من الفوضى والنزاع بين امراء بني امية، نتج عنها خلع (المهدي بالله) على يد قوات من البربر وحليفهم(سانشو) كونت قشتاله، ليتولى امير اخر يدعى (سليمان بن الحكم) الحكم، ثم ما لبث ان نجح (المهدي) بقواته في استعادة ملكه مستعينا بحليفه (كونت برشلونة) وبعدها يثور عليه الفتيان (العامريين) موالي بني عامر وهاجموه في قصره واجتزوا رأسه واخرجوا (هشام المؤيد بالله) من سجنه ونصبوه خليفة من جديد، ليحاول توحيد الصفوف وينهي حالة الاضطراب ولكن دون جدوى، ليستغل (كونت قشتاله) الفرصة ويسيطر على الحصون الحدودية جميعها، ويحاصر البربر قرطبة ويدخلوها بعد معركة عظيمة مع سكانها، ليجلس (سليمان المستعين بالله) للمرة الثانية على كرسي الخلافة، اما مصير (هشام المؤيد بالله) فمختلف عليه فهناك من قال ان (سليمان المستعين بالله) حبسه لفترة ثم قتله ابنه (محمد بن سليمان) وقال آخرون بأنه فر الى المريه وعاش متخفيا ذليلا حتى وفاته، وبعد اثنان وعشرون سنة يزعم ظهور الخليفة (هشام المؤيد بالله) هذه المرة في اشبيليه على يد القاضي (ابالقاسم ابن عباد) الذي استغل الشبه الكبير ما بين الخليفة هشام و(خلف الحصري) الذي يعمل قيما في احدى مساجد المدينة، ليزعم انه الخليفة وينصبه على رأس الدولة بهدف تثبيت السلطة ووقف أطماع ملوك الطوائف، وسمي (ابن عباد) حاجبا للخليفة، وعلى الرغم

من قبول العديد من اهل اشبيلية لهذه الاكذوبة وخصوصا عندما تتعرف عليه زوجته لتكون شهادتها مؤيدة وحاسمة للأمر، الا ان اعتراض البعض وعدم تصديقهم لهذه الحادثة جعل من الامر غير مقبول لديهم، ولكن الفقيه (ابابكر الزبيدي) احد اعيان وفقهاء اشبيلية رفض هذه الاكذوبة وقال للقاضي (ابن عباد) كيف ابايع وانا الذي انزلت هشاما الى قبره، وبعث (ابن عباد) الكتب الى انحاء الاندلس لأخذ البيعة للخليفة (هشام) والدخول في طاعته، لتعود الرسائل مليئة بالسخرية والاستهزاء، وكانت كل مملكة تزعم انها تحتوي على قبر (هشام المؤيد) وكل حاكم يدعي انه خليفته، وتتعاظم الاقوال والمشككين في هذا الخليفة ليزيد من غموض هذه الشخصية التي حاول كل الخلفاء والامراء انبعاثها من جديد لتضفي الى حكمه الشرعية والسيطرة والملك.

احداث المسرحية:

تدور احداثها في مدينتي قرطبة واشبيلية سنة 403هجرية، وتتألف من ثلاثة فصول وستة مشاهد، يتناول فيها المؤلف رقعة من تاريخنا العربي والإسلامي في الاندلس لخليفة المسلمين (هشام المؤيد بالله) حاكم قرطبة الذي ينهض من قبره في مرات ثلاث ليجلس على كرسي الخلافة، لم يعرض (الدناع) الحدث التاريخي كما هو إنما أضاف اليه من فكره ما يخدم الهدف الذي من اجله قدم العمل الفني، فرسم شخصية هشام المؤيد ليجعل منه ذلك البطل القومي الذي يحاول انقاذ الاندلس من أطماع الاسبان ويقوم بمحاولة توحيد صفوف ملوك الطوائف في انعكاس واسقاط واضح على واقعنا العربي الحالي وما يمر به من غياب الوحدة والتشرذم، فجعل الشخصيات تنطق بأفكاره وتسير وفق الحبكة التي رسمها لها، والحضور الذي يفرضه في وجدان المتلقي، يجعل هذا الأخير يدرك بسهولة دلالات الإيحاء، فيصور الخليفة واقع في التآمر والدسائس من قبل أبناء عمومته بني امية الطامعين في حكمه واسقاطه، ولم يتطرق (المؤلف) الى مسالة وصول (هشام المؤيد) الى الحكم فقد قام باختصار هذه الاحداث وتجاوزها سائرا في هدفه ومغزاه، حيث ان إحدى سمات الكتابة الدرامية المسرحية المتقنة هي الاختزال والتكثيف، وجعل مرتكزات الحدث والقصة مختصرة على الفعل الدرامي بما يخدم تدرج الحدث من (بداية –عقدة – حل) لرسم المعالجة الدرامية بإتقان وسيرها نحو الهدف الذي يصبو اليه، فنجد البداية كانت من القصر وعرش الخلافة الذي دائما محط للأنظار والصراعات التي جعلت من ملوك الطوائف يتسابقون للظفر بالغنائم والأموال والجواري في بقعة صغيرة من مدينة محاطة بالإسوار وداخل قصر، بينما العدو يستحوذ على كل الضيعات والسهول التي تحيط بهذه المدن البائسة والمتناثرة بحكامها وامرائها الجبناء

والعملاء الذين باعوا اوطانهم مقابل البقاء على كرسي قصر بائس تحاصره الجيوش من كل جانب:

"شنجول: يقولون ان المطر شح هذه السنة عن قرطبة، لأن العدل ارتفع عنها، والمطر لا ينزل الا عندما يكون الخليفة عادلا، وقد طلبوا من الناس ان يصلوا صلاة الاستسقاء. (الدناع،192،1988)

في رمزية من المؤلف رفع التراث التاريخي الى مستوى حداثة الرؤية، ونزع رداء الماضي عن العناصر المستوحاة من التاريخ، لتعرض برداء المعاصرة، وتعبر عن قضايا الانسان العربي وانشغالاته وهمومه، فالعدالة هي مطلب كل الشعوب الواعية المدركة لخطورة غيابها وتأثيرها على فئات المجتمع واستحواذ حاشية الحاكم بكل مقدرات الشعوب، ويظهر المؤلف شخصية (الخليفة هشام المؤيد) مغايرة نوعا ما عن ما كانت عليه في الواقع التاريخي، اذ حملها بمسؤوليات كبيرة والبسها ثوب البطولة والفداء والمقاومة لتحرير الاندلس أولا من الاسبان، وثانيا للقضاء على كل ملوك الطوائف التي ساهمت في ضعف التواجد العربي في الاندلس.

"هشام: لقد اثلجت صدري يا صاحب شرطتي فقد قبض عسسك على خمسة يتحدثون عن المطر والعدل واودعتهم السجن، وبذلك انتهت جميع مشاكلنا مع الاسبان وملوك الطوائف، وهؤلاء الخونة من امراء بني امية".(الدناع،193،1988)

جعل المؤلف شخصية (هشام) محاطة بالمتربصين والاعداء حتى في دهاليز قصره من أبناء عمومته بني امية، والوزير شنجول الانتهازي والطامع في منصب ولاية العهد، وملوك الطوائف في مدن الاندلس الأخرى، والاسبان ينتظروا في تفكك اكثر وتصدع في هذه الامارات للانقضاض عليهم جميعا، لنجد اختلافا اخر عن الواقع التاريخي في شخصية (ابابكر الزبيدي) فهو قاضي وكبير الفقهاء في اشبيلية ولم يكن في قرطبة عندما كان الخليفة (هشام المؤيد) اميرا لها، وأيضا التداخل ما بين (شنجول) وزير الخليفة هشام و(ابي المطرف عبدالرحمن بن ابي عامر) الذي عزم الخليفة تنصيبه وليا للعهد من بعده، فالمتخيل هنا يتداخل مع ما هو تاريخي واقصي وفقا لتصورات المؤلف، حيث تتلاقى بعض الشخصيات التاريخية مع شخصيات درامية خلقها خيال المؤلف، لترسم لنا صورة واضحة المعالم عن الواقع العربي والاسلامي في تلك المرحلة، وتوسع المؤلف في بعض الاحداث وحور في بعض الشخصيات مثلما نجد ذلك في شخصية (زياد بن عتبة) امير جيوش قرطبة.

"زياد: انا لست مع أحد.. عندما خرجت من جزيرة العرب كنت مع الفتح باسم الله.. والان انا مع قرطبة، مع اشبيلية، مع طليطلة، مع غرناطة.. مع وحدة الاندلس ضد جميع نزعات التجزئة، وضد الفرنجة، وضد ملوك الطوائف، وضد الاحلام الصغيرة التي تجهض حلم الامة الأكبر، ضد الدسائس والحيل والاراجيف".(الدناع،205،1988)

جعل المؤلف من (زياد) ذلك البطل القومي الذي لا تغريه المناصب او السلطة ولا الأموال في تحقيق هدف الامة في الدفاع عن الاندلس ورد العدو وتحقيق الوحدة تحت راية واحدة والقضاء على تلك الطوائف، وملوكها القاصرين في قصورهم بين غلمانهم وجواريهم، وبالعودة الى شخصية (هشام) في الواقع هو شخصا سهلا لا امر له ولا نهي، مقبل على العبادة والاعتكاف وتلاوة القرآن الكريم، بينما صوره المؤلف شديد الذكاء فطنا لما يحاك حوله، يقارع اعدائه حازم في امر الدولة مدافعا على حدود الخلافة، ويبغض ملوك الطوائف والفرنجة، فمهمة المؤلف تقديم منتج ابداعي يتخذ من الماضي وسيلة لمعاينة الحاضر، بما يتلاءم مع طبيعة المشكلات المعاصرة، وهذا ما يطمح له (الدناع) في خلقه لشخصية هشام المؤيد بغرسه فيها هذه الصفات من خلال فكرة جديدة خلاقة ترتبط بالواقع، ليعبر من خلالها عن موقفه من الواقع والممارسات السلطوية التي تمارس على الانسان العربي "فالوعي التاريخي ليس يقينا ثابتا، وانما ممارسة واعية ونقد وإعادة نظر ومراجعة مستمرة".(فايز،103،2016)، وبذلك فان المؤلف قد تعامل مع التاريخ معتمدا التأمل وإعمال الفكرة في توظيف المضمون التاريخي بما يحقق الإفادة من حوادثه.

"الزبيدي: هشام المؤيد انزلته في قبره بيدي أيها القاضي.

القاضي: ما أفكر فيه ابعد من القبر ومن يديك.. ايزعجك يا زبيدي ان يكون لنا خليفة من بني امية؟".(الدناع،224،1988)

في الواقع التاريخي كانت شخصية القاضي (ابن عباد) ماكرة تحب السلطة، جعلت من (خلف الحصري) مطية للبقاء والهيمنة على اشبيلية من خلال تقديمه كخليفة للمسلمين مستغلا الشبه الكبير بينه وبين هشام المؤيد، ليستتب له الامر في حكم اشبيليه والسيطرة عليها، وجسدها (الدناع) في المسرحية بنفس الصفات الحقيقية.

"القاضي: انا اسعى لأنقاد اشبيليه الغالية يا زبيدي.. اشبيليه التي تحيطها الدسائس من كل صوب.. ابن جهور.. والفرنجة.. وملوك الطوائف.. ومهمتي ان أوقف الانهيار".(الدناع،225،1988)

فتوظيف التاريخ لدى (الدناع) يقوم على بناء المواقف والشخصيات وفق معالجة درامية جديدة تحرص على تقديم الحدث اكثر تمثيلا لروح الشعب وضميره، اذ يتعرض لتاريخ الجماعة ونسيجها الوجداني بحيث يستقي قيمه الفكرية والجمالية من الاحداث والرموز الخالدة كشخصية (هشام المؤيد بالله) مقدما بذلك عددا من المواقف والمفاهيم التي تسهم في التفاعل مع قضاياه المعاصرة، وتأتي شخصية (خلف الحصري) ذلك الانسان البسيط الذي جلبه القاضي ابن عباد ليكون خليفة للمسلمين على اشبيليه، يخرج من سياقه التاريخي الى السياق الدرامي لخدمة العمل الفني ورؤية المؤلف الذي جعل منه بطلا يقارع دسائس ابن عباد ويستعين بـ (عكرمة بن وائل) قائد الجيوش ليفرض سيطرته على المدينة ويقود جيشها.

"عكرمة: ولسوف تثبت لهم ان رجلا من عامة الناس يمكنه ان يتصدى للغزاة، وان يقود امه الى النصر، ويكون خليفة اشبيليه رجلا من الفقراء.. يحس إحساس الفقير ويثمن عرق الاجير.. وينصف المستضعفين".(الدناع،233،1988)

تنطلق قراءة التاريخ وتحويره هنا من إشكالية قياس الغائب على الشاهد، ومحاولة تأسيس رؤية إيجابية للحاضر من خلال الماضي، وبالإضافة إليها من الهامه ما يساعد على رسم صورة حية لتلك الفترة الحرجة، متجنبا الحشو والاسترسال في الوصف، ليقدم لنا الحادثة في صورتها الممثلة محاولا المحافظة على منطق التاريخ، ومنطق الحوادث والشخصيات، فقد ظل (المؤلف) يحوم حول العبرة والمغزى التي من اجلها أسس شخوص مسرحيته واكسبها بعدا سياسيا مغاير لما جاء في الواقع التاريخي، وان ابن الشعب الفقير الذي لم يرد العرش يمكنه ان يصنع ما عجز عنه الامراء والسلاطين والخلفاء، يمكنه ان يصنع للامة انتصارها.

"عكرمة: هي على ما رأيت يا مولاي.. وهذا كثير.. وليس بمقدور أي عربي اصيل ان يصبر بعد اليوم.. ها هي امتنا مهزومة مقهورة، الفرنجة يذبحوننا قبيلة بعد قبيلة، وحكام العرب يرفضون الحد الأدنى من وحدة جيوشنا وكأني بهم يساعدون العدو على تحقيق مآربه واطماعه".(الدناع،246،1988)

يعري المؤلف بهذا الاسقاط الواقع العربي المليء بالانكسارات والهزائم، بسبب الاطماع السلطوية وعدم تقديم مصلحة الامة في الوحدة لردع أطماع الأعداء، بمعنى ان البطل بمفرده باحثا عن إنجازاته وحده لا يستطيع ان يصل الى ما يريد تحقيقه، ولكننا نعيش في عالم الجماعة وليس عالم الفردية، لتظهر استمرارية الماضي في الحاضر وفق علاقة جدلية تعري الواقع وتكشف عيوبه، لما للمسرح من دور طلائعي في إعادة خلق الواقع، إذ تأخذ من التاريخ خطوطه الكبرى وشخصياته الأساسية، فتعطيها معاني جديدة معاصرة، لتصبح اكثر صدقا وادق تمثيلا للحاضر.

(المضمون التاريخي في مسرحية الخيول الجامحة)

يحدد لنا (الدناع) منذ البدء زمن المسرحية وهو عصر عبور المرابطين من المغرب الى الاندلس، لإنقاذ ما يمكن انقاذه من التواجد العربي والإسلامي المتهالك والمهترئ فيها، بسبب النزاعات والحروب الداخلية فيما بين ملوك الطوائف، التي جعلت منهم فريسة سهلة للإسبان المتربصين بالأندلس، لنجد الملك ادفونش شخصية متكبرة وماكرة في خلق الخلافات والمشاحنات بين عرب الاندلس وشديد الخوف والرهبة مما سمعه عن انتصارات (يوسف ابن تاشفين) في بلاد المغرب وعزمه العبور الى الاندلس لتوحيدها وردع الاسبان، ومحاطا باليهود فمنهم الوزير في بلاطه والجاسوس في قرطبة واشبيلية، ومقربيه خدام الكنيسة وعلى رأسهم (البطريرك) هؤلاء هم مستشاريهم ومعاونيه يدبرون المكائد والدسائس للعرب في الاندلس، ويتأخر امير اشبيليه (المعتمد بن عباد) عن دفع الخراج للملك ادفونش ليرسل له اليهودي (نغدالة) ويقتله المعتمد بسبب تطاوله عليه وعلى المسلمين عندما طلب منه ان يسمح لزوجة الادفونش بالولادة في مسجد اشبيلية والذي كان قبل فتح العرب كنيسة في إهانة صريحة للمسلمين، ويتهيأ للحرب ويجمع وزرائه وقادة جيشه ويكتشف خيانة وزيره (ابن زيدون) الذي يتعامل مع الادفونش ويعقوب اليهودي، ويرسل الوفود لطلب النجدة من القائد (يوسف ابن تاشفين) لنصرة المسلمين في الاندلس، ويوافق ابن تاشفين على نجدتهم وينتصروا في معركة الزلاقة ضد الفرنجة، ويرجع بقواته الى بلاد المغرب، لتصله اخبار الادفونش باستعانته بملوك الامارات الصليبية الأخرى ويرغب في ملاقاة جيش القائد (ابن تاشفين) ليستجيب له ويعبر بجيوشه للمرة الثانية وينتصر على جيوش الاسبان ويهزم جيش الادفونش، ولكن هذه المرة يتحالف ملوك الطوائف مع المهزوم الادفونش خوفا على ممالكهم من

جيش الفاتح يوسف ابن تاشفين، ليعبر البحرة للمرة الثالثة ويقضي على ملوك الطوائف ويوحد الاندلس .

حيث يرتكز مسرح (الدناع) على المحور السياسي، وهو نقطة الارتكاز المحورية في تصوراته، فهو ليس مؤرخا ليقدم الاحداث كما كانت، وانما فنان يؤول الاحداث ويكسبها معنى جديد لائقا بها في تقديره، ليوظف اللغة توظيفا واسع النطاق مما اكسب اللغة ثراءا ملموسا ولونا من الشفافية، الى جانب تجاوب الإيقاع الدرامي الحاد من التفاعلات الحوارية العديدة، لتصوغ رؤيته وحلمه في نهضة الامة من سباتها والاعتماد على ابناءها المخلصين لفك وحلها والسير بها لمصاف الأمم القوية، لتتصهر في رؤيته وخياله الخلاق بما يوحي بالعبق التاريخي للمسرحية، وينزع رداء الماضي عن العناصر التاريخية المستوحاة، لتعوض برداء المعاصرة، وتعبر عن قضايا الانسان العربي أينما وجد في خطابات موجهة تكشف التآمر والغدر الذي يتحلى به اعدائها من الصليبيين واليهود:

"الادفونش: ان انتصارات ابن تاشفين في المغرب قد تحرك نخوة عرب الاندلس وتغريهم بنا وتحضهم على قتالنا..

نغدالة: ولماذا يا مولاي لا نجعل ملوك الطوائف يخافون منه على عروشهم؟ لماذا لا ندخلهم في الوسواس؟ ونقيض لهم جواسيسنا ليدخلوا في روعهم ان ابن تاشفين يتجهز لغزو ممالكهم، وان الصحراويين يتوقون الى نعيم العيش في الاندلس".(الدناع،13،1999)

يكشف هذا الحوار مدى العداء والمكر والتآمر الذي جمع أعداء الامة العربية والإسلامية في انعكاس واضح وصريح واسقاط على واقعنا المعاش الان، ليرفع (الدناع) التراث التاريخي الى مستوى حداثة الرؤية والقدرة الايحائية في التعبير عن الحاضر والمستقبل، لينطلق الى طرح رؤي مكثفة تهدف الى استشراف المستقبل عبر مجموعة من الحوارات تقدمها شخوصه الدرامية، لذلك نجده يربط بين الواقع والحلم الذي يصبوا اليه، وبين التاريخ المكتوب والمتخيل، لأن المسرحية تنطلق من رؤية ثلاثية تكون نسقا متكاملا "هو التاريخ والواقع والمستقبل".(إسماعيل،57،2016)

"البطريريك: في الجانب الغربي من جامع اشبيلية الأعظم كانت تقوم كنيسة لنا هدمها المسلمين وبنو فوقها المسجد الجامع وهي كنيسة معظمة عندنا ولها في تاريخنا شأن كبير.. وارى ان ترسل

مولاتي القمطجية مع حرسها وخدمها لتضع مولودها بالجانب الغربي من المسجد ".(الدناع،17،1999)

ثمة مفارقة فرجل الدين البطريريك يفترض فيه رجل سلام ورحمة، ليصوره المؤلف بصورة ممقوتة يعطي صكوك الغفران مقابل المال والتقرب من الحاكم، في إشارة لسيطرة الكنيسة في ذلك العصر على مقاليد الحكم والسياسة في الدول الصليبية، وعدائها الشديد لكل ما هو عربي واسلامي، ويوظف (الدناع) أيضا الحوار بما يخدم رؤيته في اصلاح ما يمكن إصلاحه من تعنت الخلفاء والامراء والحكام لمبدا النصيحة والعمل بها والتفاني في خدمة الشعوب، ويعطي الدروس ويرسل الرسائل وكأنه يجاري (بريخت) في مسرحه الملحمي ليتعظ بها كل من يهمه مستقبل هذه الامة:

"المعتمد: عظني يا ابن جحاف..

ابن جحاف: أفعل بإذن الله (يلاحظ ان امام المعتمد كاسا بها ماء ورد.. يهم المعتمد برفع الكأس الى شفتيه فيوقفه بحركة من يده) انتظر يا محمد.. استحلفك بالله، لو إنك منعت شربة الماء هذه فكم كنت تشتريها؟

المعتمد: (باستغراب) اشتريها؟ اشتريها بنصف ملكي.

ابن جحاف: اشرب هنيا.

المعتمد: (يشرب ثم ينزل الكاس) الحمد لله.

ابن جحاف: واستحلفك يا محمد! لو ان هذا الماء منع من الخروج فبكم كنت تشتري خروجه؟

المعتمد: بنصف ملكي الاخر.

ابن جحاف: قبح من ملك لا يساوي جرعة ماء.. ها قد وعظتك".(الدناع،45،1999)

العدل هو أساس الحكم ومبدأ النصر على الأعداء، هكذا كانت رؤية (الدناع) التي يحاول تجسيدها في كل مسرحياته ذات المضمون التاريخي، فقد نجح ان يأتي بحوار مكثف ومعبر عن الحدث في اقصر جمل ممكنة، وهذا يحسب له لأن "حجم ودرجة التكثيف من عناصر إثارة اهتمام المشاهد وفضوله، وعادة ما يكون ذلك نوع من التشويق".(عبدالوهاب،63،2001)، واحكم بنيان نصوصه المسرحية ورصفها بثقافته العربية الاصيلة ومعرفته بالتاريخ العربي، فوثق العناصر التي انتقى منها مواضيعه لمسرحة التاريخ، فاختار التاريخ من المعطى الموجود، واحضار الواقع

المنسي بعوالمه المسدودة، وتوظيفه في الكتابة الدرامية لفهم دروسه وعبره واحداثه، ليقدم عملية ميلاد جديدة لأحداث التاريخ، وهو بإدراكه للجانب الفني والحيوي انما يبني الشخصية في اطار فهمه للتاريخ:

"نغدالة: (بتكبر وعجرفة) عمت صباحا يا ابن عباد

المعتمد: (يكتم غيظه) رزقنا بتحية خير منها هي السلام والرحمة

نغدالة: شالوم

المعتمد: يهودي؟

نغدالة: نعم يا معتمد".(الدناع،46،1999)

أضاف (الدناع) من خياله بعض الشخصيات والمواقف التي تخدم رؤيته، مثل شخصية نغدالة اليهودي لتكون بمثابة الجسر التي تربط القضية الفلسطينية وتحريرها بقضية الوحدة العربية، ويربط بين الماضي والحاضر على اختلاف الاحداث في صور مجازية يستحضر القضية الفلسطينية دون ان يصرح بها، من خلال استحداث هذه الشخصيات اليهودية وبعثها في المسرحية لتظهر عمالة وخبث اليهود وتقربهم من القوى العظمى سعيا منهم بالقضاء على الوجود العربي والإسلامي في أي بقاع الأرض:

"ابن جحاف: كان يوسف مقدما لجيش ابي بكر بن عمر الصنهاجي، خرج من سجلماسة سنة أربع وخمسين واربعمائة، ويوسف رجل شجاع، عادل مقدام، تربى على شظف العيش، يميل الى اهل العلم ويكرمهم ويصدر على آرائهم، ويحب العفو الذنوب العظام".(الدناع،54،1999).

ان استدعاء الشخصيات بعظمتها التاريخية والمتوجة بهالات التقديس والايجابية ضرورة فنية لمعانقة إشكاليات الراهن، فإكساب تلك الشخصيات لحما ودما من جديد وتحريكها امام المتلقي ستعيد لديه حراك الفكر وتنشله من ركوده، فمسرح الدناع ينفخ في التاريخ ويوقظه من اجل ايقاظنا وتنبيهنا للخطر المحدق لأننا غارقون في حالة اللامبالاة، وفي تزاوج وتلاقي آخر يستدعي (الدناع) ويستحضر التاريخ العباسي في استدعائه لشخصية (عبدالله) لتروي احداث واخبار سقوط الدولة العباسية في المشرق حيث امتهن حكامها بكنز الأموال، في رحلة لهذه الشخصية من بغداد الى مراكش، ليفضح كل الممارسات الخاطئة التي ساهمت في زوال قوة وهيبة العرب:

"عبدالله: أي خليفة واي كتائب؟ الخليفة الذي يملك أربعة الاف سبيه في قصره؟ عندما خلع ابن الفرات وجدوا عنده ما يزيد عن عشرة الاف دينار وضياعا كثيرة.. وحامد بن العباس كانت له مطمورة يلقي فيها كل يوم ألف دينار.. وام الخليفة تدفن في المقبرة الزبرجد والياقوت والناس لا يجدون القوت".(الدناع،88،1999)

ليصور (الدناع) حالة التردي العربي في اسقاط مباشر على الواقع، وكأنه التاريخ يعاود نفسه، ويتخذ من تلك المرحلة شواهد واسانيد أراد من خلالها دفع المتلقي الى تأمل مصيره تحت وطأة هذا التشرذم، بسبب حكام هذه الدويلات المتجاورة وحدودها المصطنعة جراء الاستعمار، فهكذا جاءت المسرحية لتشكل ادانة للحكام على خيانتهم، وللمحكوم على مواقفه السلبية وعدم المبالاة بمصيره القادم:

"ابوبكر: ها هي ممالكنا شتى وعدونا واحد، وها هي جيوشنا شتات وجيش العدو موحد، وها هي راياتنا مختلفة الألوان منكسة على قلاعنا وراية العدو واحدة، ترتفع كل يوم على قلعة من قلاعنا وتسقط فيها راياتنا ".(الدناع،91،1999)

لم تتطابق احداث المسرحية مع الاحداث التاريخية تماما، بل أضاف المؤلف بعض الاحداث والشخصيات من خياله لخدمة العمل الفني وتجانسه وايصال الرسالة كاملة للمتلقي، بعيدا عن الاستنساخ والتقليد التام، ليقدم قراءة جدلية واعية، تنطلق من رؤية إيجابية أيديولوجية حية ونابضة بالحركة، ويتم التأسيس لنقد الواقع فكريا وفنيا وجماليا من اجل تغييره إيجابيا:

"المعتمد: هي خطوة لجمع ما تفرق بغير حق.. ولمواجهة عدو واحد بجيش واحد حتى لو ضحيت بملكي وممالك زملوك الاندلس من اجل هزيمة الاذفونس، ولأن أرعى جمال ابن تاشفين أحب اللي من رعي خنازير الاذفونس".(الدناع،92،1999)

ركز (الدناع) في استلهام الاحداث التاريخية على ابراز ثنائية الاصالة والمعاصرة، للتعبير عن الحاضر واستشراف المستقبل لإيجاد السبل الأفضل للتعبير عن الامة وعن هويتها وملامحها الخاصة المستقلة، باختيار ما يلائم هدفه، وترك ما لا يفيده من تلك الاحداث، فجاء توظيفه لهذه الاحداث التاريخية نابعا من ضرورات فنية بوصفها خلفية بني عليها احداثه المسرحية ورؤيته للواقع العربي بشكل عام.

نتائج البحث:

1- استطاع الكاتب عبد الكريم الدناع ان يوازي بين الحقائق التاريخية والضرورات الفنية، حيث عمل بحرفية واقتدار على تكثيف الاحداث واختصارها بما يلائم العمل الفني.

2- حافظ الدناع على البناء الدرامي في مسرحياته عينة الدراسة، على تقنية ثابتة، حيث بداء بمقدمة توضيحية، ثم العقدة، ثم يأتي الحل عن طريق النهاية المغلقة، ولم يغير من البناء الدرامي في أي مسرحية.

3- يعد هذا البحث من البحوث الوصفية، حيث يستهدف الباحث من بحثه 4- وفق الدناع في تنسيق شخصياته تسيقا جيدا، فقد صورها جميعا بصورة تخدم الواقع الذي عبر عنه، حيث استخدمها بصورة رمزية معبرة عما يهدف اليه.

5- التزم الدناع بوحدة المكان في المسرحيات عينة البحث، واهتم بالتنوع بين عناصر المكان تنوعا يخدم الهدف العام للمسرحية، وتغاضى عن وصف الجامد والمتحرك داخل العمل المسرحي، لأنه حرص على وصف الأشخاص نظرا لأنها شخصيات معروفة.

6- قام الدناع بمزج ما بين الاحداث الحقيقية والمتخيلة التي تتحرك بقوة وتفاعل، وهي تعبر عن قدرة فنية عالية في التوفيق بين الاحداث المسرحية على الرغم من تنوعها، ويضيف اليها من إلهامه ما يساعد على رسم صورة حية لتلك الفترة الحرجة، متجنبا الحشو والاستطراد ومحافظا على منطق التاريخ وشخصياته واحداثه.

7- اعطى الدناع مزيجا بين التاريخ والذات العربية المعاصرة، فهو يعرض الحقائق ويبث الوعي، ويجعل المتلقي يتخذ موقفا من القضية التي امامه، وقد خدم الواقع الذي يعيشه للتشابه الواضح في الظواهر الإنسانية عبر العصور، فما حدث قديما قد يحدث اليوم بصورة مختلفة، وهذا التقارب يستدعي اللجوء الى التاريخ لأسقاطه على المعاصرة.

المصادر والمراجع:

1- محيك، أحمد زياد.(1989). المسرحية التاريخية في المسرح العربي المعاصر. دمشق. دار طلاس.

2- عليان، ربحي مصطفى. (2001). البحث العلمي اسسه مناهجه وأساليب اجراءاته. عمان. بيت الأفكار الدولية.

3- الحيزان، محمد بن عبدالعزيز.(1998). البحوث الإعلامية. الرياض. مكتبة الملك فهد بن عبد العزيز الوطنية للنشر.

4- الدناع، عبد الكريم. (1988) الاعمال الكاملة (مسرحية قاضي اشبيلية). مصراته-ليبيا. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.

2- الدناع، عبدالكريم.(1999). مسرحية الخيول الجامحة. مصراته-ليبيا. الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان.

6- فايز، تامر.(2016). تحولات الشخصية التاريخية في المسرح المصري المعاصر. القاهرة المجلس الأعلى للثقافة.

7- إسماعيل، سيد علي.(2016). أثر التراث العربي في المسرح المعاصر. القاهرة. دار قباء للطباعة والنشر.

8- عبد الوهاب، شكري.(2001). النص المسرحي. القاهرة. دار فلور للنشر والتوزيع.